

بعد أن نُصب الصليب المقدس على الجلجلة، رفع الكلمة المتجسد صلاة باطنية لأبيه قال فيها : "يا أبتاه ! إن مجدك من على هذا الصليب حيث أنا، لأنك رفعت إنسانيتي إلى شرف المسيح السامي، لأنك أعطيتني السلطان الشامل على جميع الخلائق في نظام الطبيعة والنعمة. ولأنني اتمم فداء العالم بواسطة الصليب، أسالك أن يكون هذا الصليب كرسي قضائنا العادل ورحمتنا. من أجل الهالكين الذين بتصلبهم في العصيان استحقوا جهنم، ومن أجل المختارين الذين بأمانتهم لشريعتي أضحوا أهلاً لميراثي وأول هؤلاء الطوباويين هي أمي الكلية الطهارة. فاني اجعلها وريثتي العالمية على جميع خيرات الطبيعة والنعمة والمجد الذي يعود لي. سأنصّبها سيده مطلقه على الملائكة والبشر، على الشياطين أنفسهم وعلى كل المخلوقات غير العاقلة. وأريد أن تكون الموزعة الأمانة لجميع الخيرات الموجودة في السماء وعلى الأرض وان تكون إدارتها للكنيسة مثبتة في الأعالي".



وبما أن الصليب المقدس كان العرش الملكي ليسوع المسيح والمنبر الذي منه يلقن علم الحياة بإعطائه لشريعته على مثاله، تَلَفَّظَ أولاً بهذا الكلام الذي يحتوي على جميع ما في المحبة من سمو: "يا ابتي، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون". هكذا أحبّ أعداءه ليس فقط حتى المغفرة ولكن أيضاً حتى المعذرة في وقت بلغ بهم الخبث أعلى درجاته.

وبعد أن انتصرت نعمة سيدنا يسوع قال لاهمه : يا امرأة، هوذا ابنك. وسماها امرأة فقط حتى يحرم نفسه من التعزية المتعلقة بالكلمة العذبة، كلمة أم . ولكن أضاف داخلياً : امرأة مباركة بين كل النساء، أمانة لحبي على الدوام، متفانية دوماً بخدمتي. سأذهب إلى أبي ولن أكون بعد برفقتك ولكن تلميذي المحبوب سيعتني بك كأم ويصبح ابنك. ومن هذه اللحظة، أخذت الملكة العظيمة القديس يوحنا كابن لها بطاعة متواضعة. بينما التلميذ السعيد الذي قال له يسوع : هذه أمك، قد تقبل أنواراً جديدة عن عظام العذراء الكلية القداسة حتى يقوم بخدمتها بكمال أكثر.

